في ذكـــرى استـــشهـــاد امـــام العـــدل والحق والتـــســـامح

على النهج القرآني والهدي المحمدي سار الإمام علي بن أبي طالب (ع) وهدفه الأساسي في الحياة هو هداية الناس. ونحن نمر بهذ الظرف العصيب ونحيي ذكرى استشهاد الامام علي عليه السلام ما احوجنا الى استلهام الدروس والعبر من هذه الذكريومن يتصفح نهج البلاغة وخاصة في وصايا الإمام (ع) لعماله على الأمصار، فنجده يؤكد لهم أهمية صون الدماء وعدم إراقة محجمة دم بغير حق، ثم أن لا يعاملوا الرعية بالقسوة والعنف، بل باللين والرحمة.ففي المحور الأول يقول الإمام (ع) في عهده لمالك الأشتر حين ولاّه مصر:(إياك والدماء، وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها) نهج، كتاب ,٥٣ وفي المحور الثاني يقول (ع) في عهد له إلى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر:

(فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم (أي عاملهم بالمساواة) في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن اللّه تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذّب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم...) نهج، كتاب,٢٧

ويقول (ع) في عهده لمالك الأشتر:(وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم).وحتى لا يظن أحد أن هذه التعاليم خاصة بأبناء المسلمين، بل هي في منظور الإسلام مطبقة على كل الناس أجمعين، من أي عرق أو دين، قال (ع):(ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) إلى أن يقول: (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك اللّه من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر (يقصد الإمام) عليك فوقك، واللّه فوق من ولاّك)!.

وهكذا فإنّ الإنسان المسلم يشعر بالسكينة والسلام في قلبه، لأنه يضمر المحبة والسلام لغيره، ثم يريد هذا السلام أن يتحقق للآخرين، فيشيع في الأرض السلام، وتتحقق بذلك تعاليم الإسلام.

امـــام الـــسلام والـــتـــســـامح

على الرغم من قصر فترة خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وعلى الرغم من الإضطرابات الخطيرة التي شهدتها الأمة الإسلامية وقتئذ كان خير معلم في رسم الخطوط العريضة لمذهب اللاعنف في الإسلام.

وبإمكان الدارس لسيرة أمير المؤمنين علي(ع) أن يلحظ أن هناك خطين أساسيين لمبدأ السلم واللاعنف في منظومته الفكرية العامة.

فالخط الأول يتمثل في كيفية التعامل مع العدو الخارجي وموقع ذلك العدو من مبدأ السلم واللاعنف.

أما الخط الثاني وهو برأينا الشخصي الأكثر أهمية والأشد حساسية، فهو ذلك الخط الذي يحدد مكانة ما يمكن أن يسمى بالمختلف مع داخلياً، ولو كان مسلماً، وكيفية التعامل مع ذلك المختلف من منطلق السلم المتمثل بالكلمة الطيبة وبالحوار المبني على الدفع بالتي هي أحسن.

ولو أردنا أن نقف قليلاً مع الخط الأول لنتعرف عن قرب على وجهة نظر الإمام علي (ع) من السلم ونقيضه مع العدو الخارجي، فما علينا إلا أن نقرأ تلك المقاطع الهمة من عهده الخالد لمالك بن الأشتر النخعي حين ولاه أمر مصر.

وغني عن الإستفاضة في القول أن الكثير من الدراسات والأبحاث قد قامت بدراسة وتحليل ذلك العهد من قبل العديد من المفكرين المسلمين والمسيحيين على حد سواء.

وكل من يقرأ ذلك العهد لابد وأنه سيدرك في نهاية المطاف أنه دستور كامل متكامل لكل حاكم أو رجل دولة يريد أن تكون السياسة مبدأ لا لعبة على مسرح الحياة.

فإن الإمام علياً(ع) يحدد في ذلك العهد الخطوط التي يجب أن يسير عليها الحاكم أو الوالي في عملية التعامل مع العدو الخارجي المجاهر بعدائه للمسلمين.

وهاهو (ع) يقول في عهده مخاطباً الأشتر:

(ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك وللّه في رضىً، فإن الصلح دعه لجنودك، وراحه من همومك وأمن لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل... وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمةً فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة).

إذن السلم مطلب أساسي ومبدئي في سياسة الإمام علي (ع) مع الأعداء طالما أن فيه رضى لله وحفظاً للأمة وصوناً لكرامتها، وكما أن السلم مطلبٌ أساسي فكذلك الحال بالنسبة لاحترام العهود والمواثيق المبرمة مع العدو أيضاً، بالتالي فالحرب في هذه الحالة هي حرب على من اعتدى وبغى.

فالإمام علي (عليه السلام) هو القرآن الناطق مثلما أن القران هو الإمام الصامت. وعلى هذا الأثر فإن آيات الذكر الحكيم جاءت لتؤكد بشكل جلي مسألة السلم والسلام، فقد خاطب الله عباده المؤمنين قائلاً: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) وتستطيع أن نستكشف رؤية الإمام علي (ع) لمبدأ اللاعنف في تعامله مع الآخر، فمن المعروف عنه (ع) أنه كان دائم الاهتمام بموضوع الإعذار، والإعذار هو إيضاح الأمر لدى الخصم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بينة.

وهذه الحقيقة المؤكدة في البعد الاجتماعي نجدها جلية مشرقة في قاموس الإمام علي (ع) الإنساني على مدى امتداد فترة خلافته وما قبلها.

فبرغم كونه القائد الحق، وبرغم كونه المستهدف دائماً بالحرب، برغم ذلك فإنه لا يواجه عدواناً بالسيف حتى يبدأ بالوعظ والإرشاد والنصح والهداية يحاجج من جيش الجيوش عليه وأقبل بالعدوان إليه.

ولو أردنا أن نأخذ أمثلة حية على ذلك، لوقع اختيارنا على الوقائع التالية:

ففي حرب الجمل المشهورة، نرى الإمام علي (ع) وقد نزل بالموضع المعروف بالزاوية في البصرة، فصلى أربع ركعات ثم رفع يديه داعياً: (اللهم رب السموات وما أظلّت، والأرض وما أقلّت، ورب العرش العظيم..... اللهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا علي، ونكثوا بيعتي، اللهم احقن دماء المسلمين).

وبعد ذلك أرسل إليهم من يناشدهم الله في الدماء، فأبوا إلا الحرب، ثم عاد فأرسل إليهم رجلاً من أصحابه يقال له مسلم يدعوهم إلى الله، فرموه بسهم حتى جاء عبد الله بن بديل ورقاء بأخ له مقتول من الميمنة وجاء قوم برجل آخر قد رمي فقتل، وبالرغم من كل ذلك لم تكن هذه آخر مساعيه في طلب السلم وحقن الدماء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فأبلغ في الحجة لكنهم رفضوا إلا الحرب، فلم يستسلم الإمام علي (ع) لما كان، فعاد وأرسل إليهم أيضاً عمار بن ياسر (رض) سبيلاً إلى السلام لعلهم يتذكرون قول الرسول (ص) له: (تقتلك الفئة الباغية)، غير أنه لم يفلح في مهمته، فما كان منه إلا أن عاد إلى الإمام علي (ع) ليقول له: (ليس لك عند القوم إلا الحرب).

فهذا المشهد الأول من سياسة اللاعنف عند علي (ع)، والذي روته كتب التاريخ عموماً على مختلف مشارب مؤلفيها، هو أحد الأدلة القوية على أنّ نهج علي (ع) العام كان نهجاً إسلامياً حقيقاً رافضاً للتعصب نابذاً للعنف طالباً للسلم.

وهذا المشهد العملي أيضاً هو التطبيق الواقعي لنظرية الإمام علي (ع) في ضرورة طلب السلم ورفض العنف الذي تأباه النفس البشرية السوية، ومن أقواله المأثورة عنه (ع) في هذا المجال، قوله: (من عامل بالعنف ندم)، (ومن ركب العنف ندم)، وهو القائل أيضاً عن العنف (كن ليّناً من غير ضعف، شديداً من غير عنف).

وربما هذه الأقوال النظرية وما رافقها من تطبيقات عملية هي أحد الجوانب التي حببت به الكثير من المفكرين والأدباء المعاصرين سواء في الشرق أم في الغرب، حتى أنّ العديد منهم قد شبهه بالنبي سليمان الحكيم (ع) نظراً لما يملك من علم وحكمة في التعامل مع الناس والأحداث، وقد أكد ذلك المفكر والمؤرخ المشهور (فيليب حتي) في كتابه المعروف.

في حين أنّ البعض الآخر قد رأى أنّ الإمام علي (ع) قد استشهد نتيجة الإفراط في تعامله الإنساني مع الآخرين الذين استغلوا نزعته الإنسانية للقضاء عليه وعلى تلك النزعة التي لا تروق لهم ولا لمخططاتهم وهذا ما أكده المستشرق الاسكتلندي (وليم موير) ﴿١٨١٩-١٩٠٥﴾ في كتاباته المتعددة عن تاريخ الإسلام والمسلمين.

أما المشهد الثاني من التطبيقات العملية لكراهة مبدأ العنف والميل إلى السلم في نهج الإمام علي (ع)، فيمكننا أن نراه في موقعة صفين الغنية عن التعريف حيث نرى الإمام علياً (ع) يخاطب أتباعه الذين استبطؤوه في الخروج إلى صفين قائلاً:

(فواللّه ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة، فيهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها).

وبذلك، فإن الحرب عند الإمام علي (ع) هي بمثابة الخيار الأخير وبشر لابدّ منه، أو بمثابة العمل الجراحي الذي لا مفر من القيام به بعد استنفاد كل النصائح والإرشادات وكل الطرق الوقائية.

ولذلك، فعندما استبد الطرف الآخر برأيه وطمع بكرسيه وأبى بعد مراسلات عديدة إلا الخروج والقتال، لم يكن أمام أمير المؤمنين علي (ع) إلا أن وصل إلى حالة التعبئة العامة للجيش وملاقاة العدو، وقد أوصى جيشه قبل اللقاء قائلاً:

(لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإن كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم).

ومن الشواهد الجلية أيضاً على كراهة الإمام علي (ع) لمبدأ الحرب وحل المشاكل بلغة العنف والدماء، أنه سئل مرة: لم لا تحب الحرب إلا بعد فترة زوال الشمس؟

فكان جوابه (ع):(هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقل القتل ويرجع الطالب ويفلت المهزوم).

وهكذا نرى أن الحرب المفروضة على الإمام علي (ع) بدلاً من السلم الذي يريده هو، كان الإمام يظللها بالرحمة والعدل في الآخرين، فلا يجوز عنده قتل غير المحاربين ولا يجوز لحاق الفارين ولا يجوز عنده منع الأعداء من الماء حتى في وقت الحرب معه، كما حدث معه في صفين، ولا يجوز عنده منعهم من إقامة الصلاة أو الإغارة عليهم في وقت إقامتها، وتجوز عنده التوبة والرجوع عن الخطأ، ولا يجوز عنده تحقير الأسرى ولا إذلالهم، ويكفي أن نذكر مثالاً واحداً على ذلك هنا، وهو أن الإمام علي (ع) بعد وقعة صفين قام بإطلاق جميع الأسرى من جيش الاخر، مع ان جميع اسرى جيشه قتلوا.

ومن التعليقات المهمة على مبدأ السلم عند علي (ع)، هو قول الأديب والمفكر العربي الكبير (جورج جرداق) صاحب كتاب (الإمام علي (ع) صوت العدالة الإنسانية)،حيث قال لا نغالي إذا قلنا إنّ دعوة ابن أبي طالب للسلم كمبدأ عام، كانت منعطفاً إلى الخير في تاريخ العرب الذين كان حب القتال شريعة لهم في الجاهلية).

وآخر مشهد من مشاهد حب السلم ورفض العنف في سفر علي (ع) الإنساني، هو ذلك المشهد التراجيدي المهيب الذي يمثل آخر ساعة من ساعات الإمام علي (ع) بيننا قبيل انطلاقته ورحيله إلى الملأ الأعلى.

فحينما ضرب الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، وإني أترفع عن سبه إمتثالاً لأوامر الإمام بعدم السب، أمير المؤمنين علياً (ع) في المحراب عند صلاة الفجر، نقل إلى داره، وقال له بعض ممن كانوا حوله: هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكننا الله منه وقد حضر بين يديك، فما أنت آمر به؟

ففتح أمير المؤمنين (ع) عينيه الحزينتين ونظر إلى ابن ملجم، وقال له بصوت منكسر حزين: يا هذا لقد ارتكبت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني هذا الجزاء؟

ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخليت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة؟ ولكن رجوت بذلك الإستظهار من الله تعالى عليك علّ أن ترجع عن غيك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء.

فبكى ابن ملجم بين يدي الإمام (ع)، فالتفت الإمام علي (ع) إلى ولده الحسن (ع) وقال له: (أرفق يا ولدي بأسيرك وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً).

ولما دهش كل من كان حاضراً من رد فعل الإمام البالغ في الإنسانية، أكمل الإمام (ع) كلامه طالباً من ابنه الحسن (ع) ألا يغل له يداً وألا يقيد له قدماً، بل أضاف قائلاً: (نعم يا بني! نحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرماً وعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا، بحقي عليك أطعمه يا بني مما تأكل وأسقه مما تشرب، فإن أنا مت فاقتص منه.. وإن عشت فأنا أولى بالعفو عنه، وأنا أعلم بما أفعل به).

وقد جاء في بعض المراجع والمصادر أنّ آخر ما قاله الإمام علي بشأن قاتله:

(إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة فاعفو، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟).

هذا هو الإمام علي (ع)، وهذه هي عقيدته في السلم واللاعنف، هذا هو الإمام علي (ع) الذي علّم معلّمي البشرية أن الكلمة أمضى من السيف وأن السلام خير من السلاح.

هذا هو إمامنا ووصي رسولنا الذي علينا أن نقتدي به دائماً في الميل إلى السلم ونبذ العنف اللامبرر بكل أشكاله وصيغه، والذي يعلمنا دائماً وأبداً أن العنف لا يقود إلا إلى العنف، وأن السلم بيننا في الأرض هو المعراج إلى السلام في السماء.

ولذلك نرى دائماً وأبداً أنه إذا كانت إرادة السماء قد شاءت أن يكون نداؤها الأخير للإنسان قد تمثل نغماً قدسياً في رسالة الإسلام، فقد شاءت إرادة الحق أن يكون الإمام علي (ع) ضمير الرسالة وإمام الفضيلة وسيد السلام.

كلامه نور

خطبة في وصف المتقين

قال (عليه السلام) بعد حمد الله والثناء عليه:

(إنّ المتقين في الدنيا هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، خضعوا لله بالطاعة، غاضين أبصارهم عمّا حرّم الله عزّ وجل، واقفين أسماعهم على العلم، نزلت منهم أنفسهم في البلاء، كالذي نزلت في الرخاء، رضى بالقضاء، لولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنّة كمن قد رآها فهم منعمون، وهم والنار كمن قد رآها، وهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، ومعونتهم للإسلام عظيمة، صبروا أيّاماً قصاراً، فأعقبتهم راحة طويلة مربحة، يسّرها لهم ربّ كريم، أرادتهم الدنيا ولم يريدوها، وطلبتهم فأعجزوها.

أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، وتهيج أحزانهم بكاء على ذنوبهم، ووجع كلومهم وجراحهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت أنفسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف، أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، ومفترشون جباههم وأكفهم، وأطراف الأقدام، يطلبون إلى الله العظيم في فكاك رقابهم.

أمّا النهار فحكماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف أمثال القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، ويقول: قد خولطوا، وقد خالط القوم أمر عظيم، إذا هم ذكروا عظمة الله تعالى، وشدة سلطانه، مع ما يخالطهم من ذكر الموت وأهوال القيامة، أفزع ذلك قلوبهم، وطاشت له أحلامهم، وذهلت له عقولهم، فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله بالأعمال الزاكية، لا يرضون باليسير، ولا يستكثرون له الكثير.

هم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكي أحدهم خاف ممّا يقولون، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي مني، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون، إنّك علاّم الغيوب.

فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين، وخوفاً في لين، وإيماناً في يقين، حرصاً في علم، وكيساً في رفق، وشفقة في نفقة، وفهماً في فقه، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في شدة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق، ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، وبراً في استقامة، واعتصاماً عند شهوة.

لا يغرّه ثناء من جهله، ولا يدع إحصاء عمله مستبطئاً لنفسه في العمل، يعمل الأعمال الصالحة، وهو على وجل، يمسي وهمّه الشكر، يصبح وهمّه الذكر، يبيت حذراً، ويصبح فرحاً حذراً لما حذر من الغفلة، فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة.

إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما هويت، فرحه فيما يحذر، وقرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما يفنى، يمزج الحلم بالعلم، ويمزج العلم بالعمل، تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً زلَلُه، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، متغيّباً جهله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، صافياً خلقه، لا يحدث الأصدقاء بالذي يؤتمن عليه، ولا يكتم شهادة الأعداء، لا يعمل شيئاً رئاء، ولا يتركه استحياء.

الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، يعفو عمّن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، لا يعزب حلمه، ولا يعجز فيما يزينه، بعيداً فحشه، ليّناً قوله، غائباً مكره، كثيراً معروفه، حسناً فعله، مقبلاً خيره، مدبراً شرّه، فهو في الزلازل وقور، وفي المكارة صبور، وفي الرخاء شكور.

لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يدعي ما ليس له، ولا يجحد حقّاً هو عليه، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينابز بالألقاب، لا يبغي ولا يهم به، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، سريع إلى الصواب، مؤد للأمانات، بطئ عن المنكرات، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، لا يدخل في الدنيا بجهل، ولا يخرج من الحق.

إن صمت لم يغمه الصمت، وإن ضحك لم يعل به الصوت، قانع بالذي له، لا يجمح به الغيظ، ولا يغلبه الهوى، ولا يقهره الشح، ولا يطمع فيما ليس له، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، لا ينصت للخير ليعجز به، ولا يتكلّم به ليتجبر على من سواه، إن بغي عليه صبر، حتّى يكون الله جل ذكره ينتقم له.

نفسه منه في عناء، والناس منه في رجاء، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه بغض ونزاهة، ودنوه ممّن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبّراً ولا عظمة، ولا دنوه خديعة ولا خلابة، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، وهو إمام لمن خلفه من أهل البر).

في ذكرى استشهاده

الإمـــام علي عليه الـــسلام صـــورة حيـــة للعـــدل والـــتـــســـامح

صباح جاسم

لم تعرف الإنسانية في تاريخها الطويل رجلاً بعد الرسول الاكرم (ص) أفضل من الامام علي، ولم يسجل لأحد من الخلق بعد النبي(ص) من الفضائل والمناقب والخصال الطيبة، ما سجل لعلي بن ابي طالب، وكيف تحصى مناقب رجل كانت ضربته لعمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين، وكيف تعد فضائل رجل أسر اولياؤه مناقبه خوفا، وكتمها اعداؤه حقدا، ومع ذلك شاع منها ما ملأ القلوب حبا واقتداءا، وهو الذي لو اجتمع الناس على حبه كما قال الرسول (ص)، لما خلق الله النار.

وكان عليه السلام أول من ولده هاشم مرتين (من ناحية الاب والام)، فمن جهة الأب هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ومن قبل الأم فهي فاطمة بنت أسد بنت هاشم.

وجاء في كتاب كشف الغمة حول ولادته: قال يزيد بن قعنب، كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب (رض) بازاء بيت الله الحرام، اذ أقبلت فاطمة بنت اسد أم اميرالمؤمنين (عليه السلام) وكانت حاملا به لتسعة اشهر، وقد اخذها الطلق فقالت: يا رب اني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب واني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وانه بنى البيت العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولادتي، فدخلت فاطمة بنت اسد فيه وغابت عن ابصارنا، واردنا ان نفتح الباب فلم ينفتح فعلمنا ان ذلك من امر الله تعالى، ثم خرجت وعلى يدها علي بن ابي طالب (عليه السلام).

علماً ان هذه الحادثة ذكرها علماء المسلمين ومؤرخوهم من امثال العلامة سبط ابن الجوزي الحنفي في كتابه تذكرة الخواص، والشيخ الطوسي في أماليه، والشيخ المفيد في الارشاد، والسيد ابن طاووس في الطرائف، والمسعودي في كتابيه إثبات الوصية ومروج الذهب، وغيرهم كثيرون.

الحياة والموت

ومضى عليه السلام وهو إبن خمس وستين سنة، ونزل الوحي على رسول الله وللامام اثنتا عشرة سنة، وأقام بمكة مع النبي (ص) ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر فأقام معه بالمدينة عشر سنين وأقام بعده ثلاثين سنة، وقبض عليه السلام في ليلة الجمعة إحدى وعشرين من شهر رمضان المبارك سنة أربعين من الهجرة وقبره بالغري بمدينة النجف الأشرف في العراق. دفنه ابنه الحسن (ع) في الغري، وأخفى قبره مخافة الخوارج ومعاوية، وهو اليوم ينافس السماء سمواً ورفعة، على أعتابه يتكدس المؤمنون، ويتنافس المسلمون في زيارته من جميع العالم الإسلامي للتبرك وطلب الشفاعة والدعاء الى الله تعالى بجوار القبر المشرف.

شذرات عنه

ان الحديث عن علي بن ابي طالب لاتسعه مجلدات ولا تحصيه ارقام ولكن لا بد لنا من معرفة وتذكير يسير بما كانت تحمله هذه الشخصية الفذة من علم وايمان وعدل وتسامح حتى اصبحت محورا فاصلا بين الخير والشر الى يومنا هذا، بل الى يوم القيامة.

اننا اليوم اذ نستذكر هذه السيرة العظيمة نكون بأحوج حال الى قيادة تحق الحق وتقيم العدل بالقوة والعلم والحكمة في ارجاء العالم الاسلامي، بعد ان اختلط الحابل بالنابل وتمترس النفاق خلف ارهاب اعمى لا يبقي ولايذر من الحرث والنسل مستهدفا البراءة والانسانية والطفولة في العراق الجريح بل في كل مكان من العالم لو امكنه ذلك.

واذا ما اردنا ان نحق الحق ونقيم العدل ونمحق الباطل فليس لنا الا ان نحتذي حكومة اقرب ما تكون لحكومة الامام علي(ع) التي لم يذكر التاريخ في كتب الأتباع والخصوم على السواء ان احدا ظلم فيها.

حكومة العدل

كانت سياسة الامام علي(ع) في مختلف الابعاد، وفي كل امر مارسه، سياسة حكيمة رشيدة مقتبسة من سياسة الله تعالى خالق البشر وكل شيء، والمنزل للقرآن الحكيم الذي هو اجمع دستور عرفه البشر.

وبدءاً من امر الوحدة الاسلامية، لم يدع الامام علي(ع) مجالا للمشعوذين والمنافقين والذين يريدون القاء الخلاف وبث الفرقة بين المسلمين، حيث يذكر كتاب (كشف الغمة) بسنده عن الامام الحسين (ع)، انه قال: جاء رجل الى امير المؤمنين (ع) يسعى بقوم، فامرني ان دعوت لها قنبرا، فقال له علي(ع): اخرج الى هذا الساعي فقل له، قد اسمعتنا ما كره الله تعالى فانصرف في غير حفظ الله تعالى.

منطلق العدل

والعدل هو اساس سياسة الامام علي(ع) في كل امر، ومن ذلك ما اوصى به ولاته في اهل الكتاب ومنهم اليهود الذين وصفهم القران الحكيم بانهم(اشد الناس عداوة للذين امنوا)، فقد اخرج الكليني في (الكافي) عن رجل من ثقيف كان من عمال الامام (ع)، قال: استعملني علي بن ابي طالب(ع) على بانقيا وسواد من الكوفة، فقال لي والناس حضور، انظر خراجك فجد فيه ولا تترك من درهما. فاذا اردت ان تتوجه الى عملك فمر بي. قال، فاتيته فقال لي، اياك ان تضرب مسلما او يهوديا او نصرانيا في درهم خراج، فانما امرنا ان ناخذ منهم العفو.